

شخصيات فى حياتى(2).. المشير محمد حسين طنطاوى



لواء د. سمير فرج



29 نوفمبر 2018

عشرون عاماً، هى عمر العلاقة التى جمعت بينى وبين السيد المشير حسين طنطاوى، يضاف إليها فترة تتلمذى على يديه، عندما كان مدرساً فى الكلية الحربية، قبل سفره إلى الجزائر، بصحبة مجموعة من الضباط المصريين، لتأسيس الكلية الحربية الجزائرية فى شرشال، عاد بعده إلى مصر ليلتحق بكلية أركان حرب. خلال حرب أكتوبر المجيدة، كان قائداً لكتيبة مشاة رأس الكوبري، التى أدارت واحدة من أشرس معارك الحرب، المعروفة باسم معركة المزرعة الصينية، وأفشلت محاولة شارون اختراق الدفاعات المصرية، فى سيناء، شرق القناة.

تدرج، بعدها، المشير طنطاوى بوظائف قيادية فى سلاح المشاة، حتى قائد الجيش الثانى، ثم قائد قوات الحرس الجمهوري، ثم رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة، الذى خطط وأدار حرب تحرير الكويت، قبل تعيينه وزيراً للدفاع والإنتاج الحربي. نجح المشير طنطاوى، بامتياز، فى إعادة الانضباط للقوات المسلحة، ونجح فى إعادة بناء المعسكرات ومناطق الإيواء، التى تليق بكرامة الجندي المصري، وأعاد القوات المصرية إلى معسكراتها وثكناتها، بعد عهود طويلة من البقاء فى خنادق الدفاع فى أثناء حرب الاستنزاف، وحرب أكتوبر. كما استكمل، وبكفاءة، المنظومة، التى بدأها من قبله المشير أبو غزالة، لتطوير تدريب وتسليح القوات المسلحة المصرية.

استمر المشير طنطاوى فى منصبه، حتى اندلاع أحداث 25 يناير 2011، ليجد نفسه على رأس المجلس العسكري، مكلفاً بإدارة شؤون البلاد، والتى اعتبرها أهم فترات تاريخه العسكري والسياسي. أصدر أوامره، منذ اليوم الأول، بعدم إطلاق النيران، مهما حدث، وظل قراره سارياً، حتى تسليم السلطة، بعد انتخابات عام 2012. كان يرى أن طلقة واحدة، من شأنها إغراق

مصر فى بحر من الدماء، لتصبح بعدها مثل سوريا والعراق، وهو ما كانت جماعة الإخوان الإرهابية تستهدفه، بمحاولة إحداث الفتنة بين الشعب وقواته المسلحة، من خلال إطلاقهم النيران من أعلى أسطح العمارات، فى ميدان التحرير، فى الأيام الأولى لأحداث يناير 2011.

كانت أعقد هذه المواقف عندما حاول المتجمهرون من الإخوان، وأنصارهم، حصار، واقتحام مقر وزارة الدفاع، واقتربوا، بالفعل، من الأسوار، وتمسك المشير طنطاوى بقراره، بعدم إطلاق النيران، والحفاظ على أعلى درجات ضبط النفس. ولولا حكمة، وتوفيق، اللواء حمدى بدين، قائد الشرطة العسكرية، آنذاك، والمكلف، حينها، بتأمين مبنى وزارة الدفاع، لنجحت تلك العناصر فى اقتحام مبنى الوزارة، والذى اقتصر خطته على حشد عدد كبير من الجنود، الذين اندفعوا فى اتجاه المتظاهرين، دون استخدام الأسلحة، ففروا هاربين إلى ميدان العباسية ومنطقة غمرة. وقد تكون شهادتي، فى حق المشير طنطاوي، مجروحة، بحكم العلاقة، التى تطورت إلى صداقة، على مدى 20 عاماً.

ولكننى سأستشهد بوزير الدفاع الأمريكى الأسبق، ليون بانيتا، الذى تولى أرفع وأدق المناصب فى الولايات المتحدة الأمريكية، فى عهد الرئيسين بيل كلينتون، وباراك أوباما، حتى عام 2013، بدءاً من رئيس ديوان البيت الأبيض، ثم رئيساً لوكالة الاستخبارات الأمريكية (CIA)، ثم وزيراً للدفاع، إبان ما يطلق عليه ثورات الربيع العربى.

منذ عامين، كان ليون بانيتا فى زيارة إلى القاهرة، التقى خلالها السيد رئيس الجمهورية، والسادة وزراء الدفاع، والداخلية، آنذاك، وفى نهاية زيارته، دعوته، والوفد المرافق له، على العشاء، فى أحد مطاعم حى مصر الجديدة، وأثناء العشاء بدأ يتحدث عن ذكرياته عن مصر العظيمة، وعن المحادثات الهاتفية بينه، كوزير للدفاع الأمريكى، وبين المشير طنطاوي، بصفته رئيساً للمجلس الأعلى للقوات المسلحة، الذى يدير البلاد، فى هذه الفترة الحرجة.

وشهد بانيتا، أن فترة حكم المجلس العسكرى، هى التى حافظت على أمن واستقلال ووحدة مصر، ولولاها لتدهورت الأمور مثلما حدث بسوريا والعراق. وأضاف بانيتا، أنه يكن كل

الاحترام والتقدير للمشير طنطاوي، باعتباره رجلاً عظيماً، أدار دفة البلاد بحكمة وكياسة، طوال عشرين شهراً، مؤكداً أن التاريخ المصري سيذكر ذلك بين فصوله. التقطت، ساعتها، هاتفي المحمول، وطلبت السيد المشير طنطاوي، لأبلغه بأن هناك من يود محادثته، فكانت مفاجأة للطرفين، وبدت حرارة العلاقة في حديثهما، الذي امتد أكثر من ربع ساعة، تبادلاً خلاله ذكريات بعض المواقف التي جمعتهم، وأكد المشير طنطاوي سعادته بمكالمة صديق عزيز، قدم لمصر العديد من المساعدات، خلال تلك الفترة الحرجة من تاريخها.

وقال له الوزير بانيتا إنه لولا أن موعد مغادرته يحين في خلال ساعات قليلة، لطلب مقابلته، ووعد بأنه خلال زيارته القادمة القاهرة، سيطلب من اللواء سمير فرج، أن يجمعهما على العشاء، مماًزحاً بأمله بأن يكون في ذات المطعم الإيطالي، الذي يحيى فيه جذوره الإيطالية، فضحك المشير طنطاوي، مؤكداً أنه سينتظر ذلك اللقاء، الذي سيكون الأول لهما، بعيداً عن المناصب الرسمية، ليستعيدا معاً ذكريات أيام مرت عليهما، بما لها، وما عليها. وقبل أن ينهيا مكالمتهما، أضاف الوزير بانيتا أنه سيتك معي، للمشير طنطاوي، نسخة من آخر إصداراته *Worthy Fights: A Memoir of Leadership in War and Peace*، أو معارك ذات قيمة: مذكرات القيادة في الحرب والسلام، والذي يتحدث فيه عن فترة توليه وزارة الدفاع الأمريكية، منتقداً فيه السياسة الخارجية للرئيس أوباما، التي أحدثت خللاً كبيراً في علاقات الولايات المتحدة الأمريكية، مع حلفائها التاريخيين. وانتهت المكالمة وكرر الوزير بانيتا كلمته: يجب أن يعرف الشعب المصري أن المجلس العسكري، بقيادة المشير طنطاوي، قد حقق الأمن والاستقرار لمصر، وأن هذه الفترة الحكيمة من قيادته، هي التي أوصلت بلدكم إلى بر الأمان في المنطقة.

وبعد أن أدى المشير طنطاوي واجبه الوطني، اعتزل العمل العام، ليستمتع بأولاده وأحفاده، ويعيش معهم أياماً جميلة، افتقدها كثيراً خلال تاريخ حياته الحافل بالمناصب الرسمية والأحداث الكثيرة، ومازال كل جمعة يلعب كرة القدم، مع حفيده حسين، الذي يعتبره حريف كرة قدم، مثلما كان المشير طنطاوي في شبابه. ابتعد المشير طنطاوي عن الأضواء، وعندما حاول البعض إقناعه بكتابة مذكراته عن أحداث يناير 2011، نصحته، كصديق، بالألا يشغل

بأله بذلك، فأحداث تلك العشرين شهراً، مسجلة فى محاضر اجتماعات المجلس العسكري، وهو ما سيكشفه التاريخ يوماً... واستكملت نصيحتى بأن يستمتع بأولاده وأحفاده، بعدما قدم لمصر الكثير. فى العدد القادم... بإذن الله ... اللواء عمر سليمان

Email: sfarag.media@outlook.com